

أضواء البيان

@ 433 قوله تعالى : { فَقَالَ الْإِمْلَأُ السَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشِيرًا مَّثُوثًا وَمَا نَرَاكَ إِلَّا تَّابِعًا لِلَّهِ السَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكُفْرِهِمْ هُمْ وَمَا أَرَادُوا إِلَّا الْإِسْلَامَ } إلى قوله { وَمَا أَرَادُوا إِلَّا الْإِسْلَامَ } .

وقد دلت هذه الآية وأمثالها ، على صدق مقالة هرقل حينما سأل أبا سفيان ، عن أتباع محمد صلى الله عليه وسلم : أنهم سادة القوم أم ضعفاؤهم ؟ فقال : بل ضعفاؤهم . فقال : هكذا هم أتباع الرسل . .

وقال العلماء في ذلك : لأنهم أقرب إلى الفطرة ، وأبعد عن السلطان والجاه ، فليس لديهم حرص على منصب يضيع ، ولا جاه يهدر ، ويجدون في الدين عزاءً ورفعة ، وهكذا كان بلال وصهيب وعمار ، وهكذا هو ابن أم مكتوم رضي الله عنهم . { أَمَّا مَنْ اسْتَعْذَرَ بِأَنْتَ لَهُ تَصَدَّقْ * وَمَا عَلَايَكَ إِلَّا يَزَّكَرْ } . بيان لموقفه صلى الله عليه وسلم من جميع الأمة ، وحرصه على إسلام الجميع حتى من أعرض واستغنى ، شفقة بهم ورحمة ، كما بين تعالى حاله صلى الله عليه وسلم بقوله : { عَزَّيْزٌ عَلَايَهُ مَا عَدَّتْهُمْ حَرِيصٌ عَلَايَهُمْ } وكقوله : { فَلَا عِلَّاءَ لَكَ بِأَخِي زَفْسُكَ عِلَّاءُ ثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُمْضُوا بِهَِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا } . .

وقوله : { وَمَا عَلَايَكَ إِلَّا يَزَّكَرْ } ، بيان أنه صلى الله عليه وسلم ليس عليه ممن لا يتزكى ، وقد صرح تعالى بذلك في قوله : { إِنْ زُمَّ آتَتْ مُنْذِرٌ } وقوله : { إِنْ عَلَايَكَ إِلَّا الْبِلَاقُ } ، وقوله : { لَّيْسَ عَلَايَكَ هُدَاهُمْ } ، ومثل ذلك . .

وقد جمع الأمرين من الجانبين في قوله تعالى عن نوح عليه السلام { وَمَا أَرَادُوا } بِطَارِدِ الْإِمْلَأُ مِّنْهُمْ * إِنْ أَرَادُوا إِلَّا نَذِيرٌ مِّنْهُمْ } . { كَلَّا إِنْ زُمَّ تَذَكُّرٌ * فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ * فَيُصْحَفِ مَّكْرًا مَّعًا * مَّرْفُوعَةٌ مَّطَاهَرَةٌ * بِأَيْدِي سَفَرَةٍ * كِرَامٍ بَرَرَةٍ } . معلوم أن كلمة : كلا : ردع عمَّا سبق ، وهو في جملته منصب على التصدي لمن استغنى ؟ والإلحاح عليهم والحرص على سماعهم منه ، ولكن الله تعالى يقول : إن منزلة القرآن والوحي والدين أعلى منزلة من أن تبذل لقوم هذه حالتهم فهي على ما هي عليه من

